# «ثورة ٢٣ يوليو» والأدب العربي

## محاولة في ضوء منهج تكاملي

بقلم حسين مروّه

**مدخل**

من طبيعة الاحداث الكبرى والخطيرة ، في تاريخ الامم والشعوب او تاريخ النهضات الوطنية والحركات التحررية والثورية ، ان تكون اشبه بالمحطات الكبرى في طريق الرحلة الطويلة العنيفة يسترجع عندها الركب شؤون ما انقضى من الرحلة ، ليتعرف قيمة كل منها في ذاته وقيمة كل منها في علاقته مع الشؤون الاخرى ، وليصل من ذلك الى اختبار دقيق او تقريبي لحاصل ما تحقق من مهمات الرحلة واهدافها ، وحاصل ما لم يتحقق منها ، ثم حاصل ما استنفد في المراحل السابقة من طاقات ومن زاد وعتاد ، لكي يعد من ذلك كله ما يضمن له متابعة المسير حتى نهايته المفترضة في منطق الاشياء او منطق التاريخ ، ولكي يرفض من ذلك كله ما قد اصبح عتيقا او فاسدا يعوق المسيرة او يؤخرها او يكون عبئا ثقيلا عليها ، فيستبدل به جديدا يدفع المسيرة بزخم جديد ..

هكذا شأن الركب العربي في رحلته الكفاحية الطويلة العنيفة ، وهكذا ينبغي ان يكون شأننا نحن الكتّاب والنقاد والباحثين الذين نشارك الركب العربي هذا ، او نتابع مسيرته بالاقل ، في طريقه الكفاحي التحرري الثوري .. فلطالما حدثت في تاريخ هذه الرحلة احداث كبيرة وخطيرة كانت تستدعي ان نتخذ منها « محطات » من ذلك النوع لتقويم ما مضى من اشواط رحلتنا على نحو جديد دائما من التقويم الموضوعي بعيدا عن الانفعال الذاتي المحض .. غير ان الامر لم يكن كذلك في كثير من هذه الاحداث الجسام .. ولكي نكون صريحين مع انفسنا ومخلصين لقضيتنا يجب القول انه كثيرا ما كانت الحادثة الكبرى تأتينا وكأنها مفاجئة لم نحسب لها حسابا ، فنستسلم للانفعال بها نفسيا دون ان نفتح لعقولنا باب الرؤية الواقعية العلمية لنعالج اسباب الحادثة ووجوهها المختلفة : القريبة والبعيدة ، الذاتية والموضوعية .. ثم يستأنف الركب العربي رحلته من غير ان يتزود منا بزاد جديد او ان يتعرف منا مكان الخلل في « خريطة » السير ..

وها هو ذا ركب الثورة العربية التحررية يعاني ، في هذه الايام ، حادثا من نوع خاص فوجيء به اروع مفاجأة ، وسريعا ما اجفل له الركب وذعر ، ثم تماسك قليلا ، وما يزال يتماسك باناة ليمضي في مسيرته ولا يقف .. فهل لنا هذه المرة ان نجعل من حادث بهذا الحجم في خطره « محطة » نسترجع عندها بعض شؤون المرحلة السابقة من رحلتنا الكفاحية ، بطريقة عقلانية متحررة ـ قدر المستطاع ـ من اثار التهيج العاطفي وانفعالاته .

كان غياب المناضل الثوري الكبير جمال عبدالناصر غيابا مفاجئا ، عن مكانه العريض في قيادة الركب العربي التحرري ، هو ذاك الحادث المروع الخطير الذي نشير اليه . وهو نفسه الحادث الذي يحاول الان نفر من الكتّاب والباحثين العرب ان يقفوا عنده ، في هذا الجزء من « الآداب » ، وقفة متأنية يلتفتون بها الى مرحلة من تاريخ الحركة التحررية العربية اقترنت باسم جمال عبدالناصر وشخصيته اقتران فعل وتأثير متبادلين على اكثر من صعيد واحد ، وفي اكثر من وجه واحد من وجوه هذه المرحلة .

**ـ ١ ـ**

.. على ان الشرط الاهم لتحقيق ما سميناه الطريقة **العقلانية** في معالجة هذه المرحلة ، على هذا الصعيد او ذاك ، وفي هذا الوجه او ذاك من وجوهها ، هو شرط النظرة **التكاملية** في كل مسألة تخضع للمعالجة من موضوعنا . فان اكثر ما كانت تتعرض له معالجاتنا ، في

الاغلب ، من نقص او تشوه او خطأ او انحراف،هو طابع التجزيء ، اي قطع الاحداث او القضايا بعضها عن بعض، وعزل كل واحدة منها في اطار « الخاص » وحده منفصلة بذلك عن مكانها الطبيعي والمنطقي والتاريخي في اطار «العام» الذي من شأنه ان يضفي على الحادثة او القضية الخاصة او المنفردة قيمتها الحقيقية وجوهر دلالتها وحرارة حيويتها ..

فاذا كان موضوع المعالجة هنا ، في هذا المقال ، هو « ثورة ٢٣ يوليو والادب العربي » ، فان النظرة التكاملية التي اعني تقتضي النظر الى «ثورة ٢٣ يوليو» من حيث هي حلقة في سلسلة الثورات العربية ، اي من حيث هي ذات اطار تاريخي عام ، لا من حيث هي قائمة بذاتها في اطار خاص مستقل منعزل وجد في فراغ .. فان النظرة اليها على الوجه الاخير تؤدي الى قطع الامتداد الطبيعي لموضوع المعالجة نفسه ، وهذا يؤدي بنا ، اخر الامر ، الى فقدان رؤية التأثير المتبادل او التفاعل الواقعي بين هذه الثورة والادب العربي .. ذلك بان هذا التفاعل لا تمكن رؤية اثاره وظاهراته الا انطلاقا من تلك النظرة التكاملية الى المجرى التاريخي العام لحركة التحرر العربية الذي انبثقت منه « ثورة ٢٣ يوليو » ثم صارت رافدا كبيرا من روافده ، فهي تصب ـ بنهاية المطاف ـ في مصبه .. واعني بكل ذلك اننا اذ نرجع الى كثير من نصوص الادب العربي التي ظهرت خلال المرحلة التي قطعتها ثورة ٢٣ يوليو منذ قيامها حتى غياب قائدها المناضل جمال عبدالناصر ، لا نجد هذه الثورة تنعكس في تلك النصوص انعكاسا مباشرا يدل عليها بصورتها الخاصة او بوجهها المنفرد .. فاذا نحن نظرنا الى الثورة هذه نظرة تجزيئية تفصلها عن مجراها التحرري والثوري العربي وتعزلها عنه ، ثم نظرنا الى تلك النصوص الادبية ، خيل لنا ان لم يكن هناك من تأثير متبادل بين الثورة المصرية هذه او نصوص الادب العربي تلك .. في حين ان ذلك غير صحيح ، لان هذا التأثير المتبادل امر واقع دون شك ، ولكنه يخفى عن الرؤية حين تكون الرؤية محدودة بذاك الاطار الجزئي .. ولو اننا تجاوزنا حدود هذا الاطار الى ما هو اوسع واشمل لكان من اليسير على الناقد والباحث ان يجد في تلك النصوص الادبية ذاتها صورة ثورة ٢٣ يوليو ذاتها، ولكنها ليست الصورة الخاصة المباشرة لها ، بل صورتها الثورية الفاعلة المتطورة خلال صيرورتها في مجرى تطور الثورة العربية « الكل » وصيرورتها المستمرة .

سأذكر نصا شعريا ظهر عام ١٩٥٧ ، اي بعد خمس سنوات منذ ظهور ثورة ٢٣ يوليو . هذا النص للشاعر السوداني **جيلي عبد الرحمن** نشر بعنوان « اشواق الكفاح » (١) يقول فيه :

.. ويا طالما حدثتنا هناك
عن الطالبات ، وذكرى عرابي
حديثا كذوب الندى في الروابي
تضيء السذاجة فيه الكلام
وتسألني عن فتى اسمر
بخط النضال على جبهته
شواظا من النار في غضبته
وما عب من سائل احمر
وأحكي لها عن صلاح (٢)
تحدى ، مع الثائرين ، الملك
وجيش الغزاة الدخيل
فمات !
ولكنه لم يزل اغنيه
ترددها ، كاللظى ، امسيه
. . . . . .

هذا النص الشعري نموذج يقاس به كثير من النصوص الادبية في الشعر والقصة والرواية والمسرحية ـ من الادب العربي في الخمسينات والستينات . . فهنا ثورة ٢٣ يوليو حاضرة بفعلها ، لا بصورتها . لان الشاعر هنا يستعرض ذكريات الكفاح الشعبي في مصر قبل الثورة هذه ، ونحن نرى في هذه الذكريات صورا من العهد الظلامي ، عهد « الملك ، وجيش الغزاة الدخيل » ، اذ الثائرون يتحدون عتاة ذلك العهد، ويكافحون ويستشهدون هذه الذكريات ما كان لها ان تكون « ذكريات» لولا ان ذلك العهد الظلامي قد انقشع عن وادي النيل ، وانهار ظل الملك ، وجلا جيش الغزاة الدخيل .. ذلك بفعل ثورة ٢٣ يوليو ذاتها ، وبفعل النضالات الشعبية التي سبقتها وهيأت الارض والبذور التي انطلقت منها .. فهل يصح القول اذن ان مثل هذا النص الشعري يخلو من علاقة التأثر بثورة ٢٣ يوليو ، لكونه يخلو من الصورة الواضحة المباشرة لهذه الثورة ؟.

ويحضرني مثال اخر لعله يضع الفكرة في اطار اوسع من ذلك ، ولكنه لا يخرج بها عن الاطار الواقعي الذي تدور فيه :

نقرأ لبدر شاكر السياب قصائد كتبها في الخمسينات ، مستوحيا اياها من كفاح شعوب المغرب العربي للتحرر الوطني (٣) ، فنجد فيها صورا حية مخضوضرة لانبعاث العرب من ظلمة التاريخ ومن كهوف الاساطير ، اساطير القدر والاستسلام وعبودية اصنام الوهم من كل نوع..ونجد فيها من وهج الثورات العربية كلها ، في المغرب والمشرق ، ميلاد تاريخ جديد للعرب يتصل نبضه الحار بنبض تاريخنا القديم الذي ولد بثورة

(١) « الثقافة الوطنية » :١٩٥٧ ج ٩ ص ٢٣ .

(٢) طالب سوداني اغتالته حكومة ابراهيم عبدالهادي في سجن مصر

(٣) ديوانه « انشودة المطر » ـ دار مجلة شعر ، بيروت ١٩٦٠ ص ٦٩ ـ ٨٩ .

النبي محمـد منذ اربعة عشر قرنا.:

. . . . . .
... واليوم ولى محفل الالهة
اليوم يفدي ثائر بالدمـاء
الشيب والشبان ، يفدي النسـاء ،
يفدي زروع الحقل ، يفدي النماء ،
يفدي دموع الايّم الوالهه
بالامس دوى في ترى يثرب
صوت قوي من فقير نبي ،
الوى ببغي الصخر .. لم يضرب ،
وحطم التيجان . اي انطلاق
في مصر ، في سورية ، في العراق !
بالامس وارى قومك الالهة (١)

. . . . . .
. . . . . .

صحيح ان هذا المقطع مجتزأ من قصيدة ذات بناء ملحمي متماسك شديد الاحكام ، ولكنه يستطيع بذاته ان يستوعب الفكرة التي اقصد .. فاننا نسأل هنا : هـل لهذا النموذج الشعري صلة من صلات التفاعل مع ثورة ٢٣ يوليو ، بالرغم من ان وحي القصيدة وسياقهاالخاص متصلان بثورة الجزائر بخصوصها ؟.

أقول : نعم . ولكن الصلة هنا تنبع من الصلةالقائمة بيـن ثورة الجزائر وثورة ٢٣ يوليو المصرية ، وهي صلة جزء بجزء اخر ينتظمهما معا ذلك الكل الواحد الشامل، هو الثورة العربية التحررية المتكاملة تكاملا عضويا علـى مدى المرحلـة الثورية العربية في الخمسينات والستينات وهذه الثورة العربية في مرحلتها هذه نفسها متكاملـة تكاملا عضويا كذلك مع الثورات والانتفاضات العربية على مدى المراحل التي سبقت المرحلـة الاخيرة هـذه . والتفاعل الذي حدث بالفعل بين الادب العربي والحركـة الثورية العربية التحررية في مختلف مراحلها ينحل ـ اخر الامر ـ الى تفاعل مع كل جزء من هذا الكل الواحـد الشامل . ولكن القصد ان اقول ، في هذا المجال ، ان كل نص ادبي من ادبنا العربـي ظهر في الخمسينات بالاخص ، ثم في الستينات ، متأثرا بلهب المعركة العربية الدائرة على هذه الجبهة او تلك من جبهاتها المتعددة، لم يكـن بعيدا عـن التأثر باحداث ثورة ٢٣ يوليو اما مباشرة او بعلاقـة اخرى من علاقات المعركة بهذه الثورة .. ذلك بان كثيرا من الاحداث الكبرى والخطيرة التـي واجهتها المعركـة العربية ، خلال المرحلة الاخيرة هذه ، كانت اما من احداث ثورة ٢٣ يوليو ، او ذات علاقـة بها مباشرة او غيـر مبـاشرة .

(١) من قصيدة «الى جميلة بوحيرد» انشودة المطر ـ ص ٧٣ .

اننا ، بمراجعة تفصيلية دقيقة للاعمال الادبيـة ، التي انعكست فيها تلك الاحداث انعكاسا ايجابيا ام سلبيا ـ ولا سيمـا ذلك الحدث الزلزال في٥ حزيران ١٩٦٧ ـ سنجد المسألة مفهومة على هذا الاساس بوضوح .. اي اننا سنجد ثورة ٢٣ يوليو ، بسلوكها مع تلك الاحداث وبفعلهـا فيهـا وبمواقفها منها وبعلاقاتها بها ، قداثبتت حضورهـا في هذه الاعمال الادبية نفسها باشكال من الحضور مختلفـة متنوعـة :

● فمنها اشكال الرمز والايماء ، والالماح ، تمجيدا للثورة هـذه او تعريضا بها ..

● ومنها اشكال الانفعال بوهجها الثوري ، والتأثر باتجاهاتها النضالية وخطاها التحرريـة ، او بسلوكها المبدئي المتطور في مجال العلاقات الدولية والعالمية .اي في **انسجامها** الثوري مع الدول الاشتراكية وقوتهـا الاساسية المتمثلة بالاتحاد السوفياتي ومع سائر قـوى التقدم والتحرر في العالم كله ، وفي **تناقضها** الثـوري كذلك مع الدول الامبريالية وقوتها الاساسية المتمثلـة باميركا ومع سائر قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية في العالـم كلـه ايضـا ..

● ومنها اشكال التعبير عن المعركة العربيةبوجهها، الاعم ، سواء كان ذلك تعبيرا عن حركة تطورها وافاق هـذا التطور ، ام كان تعبيرا عن سلبياتها وعناصرالتمزق في صفوفهـا وحسب .. وفي هذه الاشكال ، بنوعيها : الايجابي والسلبي ، تبدو الجمهورية العربية المتحدة بلد ثورة ٢٣يوليو ، وقيادتها ، انهـا الهاجس الاول او الاهم لدى صانعي هذه الاشكال الادبية (٢) ..

● ومنها تلك الاشكال **التركيبية** التي ترمي الـى استيحاء التاريخ الكفاحي العربي ، قديمه وحديثه ، لخلق بطـولات نموذجية ، لها مـن المعاصرة دم وحياة وحركة، ولها مـن التاريخ وجه عرين الملامح ،وقضية تتصارع مع الزمن .. (٣) وليس يحتاج احدنا الى تعمق كثير لهـذه الاشكال كي يستخلص الصلة بينها وبين الاوضاع والمشكلات والقضايا التي تدخل في معاناة الانسان العربي المعاصرخلال تجربات الحركات الكفاحية التحررية الجديدة منـذ ثورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ .

● ومنها ، اخيرا ، تلك الاشكال الادبية الصريحة في تعبيرها عن الانفعال المباشر بكبريات الاحـداث والمواقف والمنجزات التي تنتسب الى ثورة ٢٣ يوليو بخصوصهـا وتفردها .. وهذه الاشكال الادبية مـن الوفـرة حيث

(٢) راجع ، مثلا ، مجلة «الاداب» : العددين ٧ و٨ سنة ١٩٦٧

(٣) مثلا : ادونيس في «كتاب التحولات ..» ـ الصقر ، ص ٢٧ وصلاح عبدالصبور في « مأساة الحلاج » ، وبعض قصائد محمود درويش وسميـح القاسـم .

لا يستطاع احصاؤها، ولا نحتاج الى تعداد مراجعها(١)..

نخلص من الاشارة الى هذه الأشكال الادبية المختلفة المتنوعة ، ومن الاشارة الى ما بينها وبين ثورة ٢٣ يوليو من علاقات التأثر والتفاعل ـ نخلص من ذلك كله الى القول باننا من هنا نرى ان النظرة **التكاملية** في موضوع الصلة بين هذه الثورة والادب العربي ،هي الطريقة الاكثرواقعية والاكثر دقة للاهتداء الى حقيقة هذه الصلة ومواقعها الظاهرة والخفية من مختلف النصوص الادبية واشكالها، ولاكتشاف الصورة الفنية والفاعلية الحقيقية لهذه الثورة في الادب العربي خلال الثمانية عشر عاما المنقضية من عمرها حتى الان .. ففي رأيي انه يتعذر رؤية هذه الصورة وهذه الفاعلية في كثير من تلك النصوص لو اننا اتبعنا النظرة **التجزيئية** في هذا الموضوع .. اي النظرة الى ثورة ٢٣ يوليو بذاتها وبخصوصها منفصلة ومنعزلة عن اطارها التاريخي العام الذي هو حركة التحرر العربية بجملتها ككل .

## ـ ٢ ـ

.. ولكي نمضي مع منطق هذا المنهج الى نهايته ،في موضوعنا ، ارى ان تكون النظرة الى ثورة ٢٣ يوليو نظرة تكاملية من حيث علاقتها بـ « الناصرية » ايضا . ولهذا فضلت ان يكون حديثي ، هنا ، عن هذه الثورة ، مرتبطا باسمها التاريخي ، لا باسم « الناصرية » وحسب .. وانا أزعم ان هذه الطريقة اقرب الى النظرة التكاملية ، وان الكلام على « الناصرية » بخصوصها اقرب الى النظرة التجزيئية .. وذلك ان اصطلاح « الناصرية » صار يعني احدى دلالتين : اما **الدلالة** على المفهوم الشائع في الاذهان اليوم ، وهو مفهوم الاطار الايديولوجي او الاطار التنظيمي السياسي، المستخدم في معظم الاقطار العربية في السنوات الاخيرة .. واما الدلالة على نسبة هذه الثورة الى قائدها العظيم المناضل جمال عبدالناصر .

في رأيي ان كلتا الدلالتين تؤدي الى الحكم على ثورة ٢٣ يوليو بالتجزيء والحصر، وتقصر عن استيعاب محتواها الثوري الاعم المتصل عضويا وتاريخيا وموضوعيا بتطور حركة التحرر العربية من حيث هي حركة جماهيرية شعبية منطلقة من مطامح الشعوب العربية كافة الى التحرر الوطني ثم التحرر الاجتماعي ، ومن مراحل كفاحية متنوعة ومتعددة ومتلاحقة زمنيا ..

وبذلك يصبح تعبير « الناصرية » ابعادا لثورة ٢٣ يوليو عن هذا الرابط العضوي التاريخي الموضوعي، وحصرا لها اما في اطارها الايديولوجي او التنظيمي السياسي الضيق ، واما في اطارها « الشخصي » الذي طالما جهد الفقيد العظيم جمال عبدالناصر نفسه في تبديد صورته من الاذهان ، وفي توكيد ان الثورة التي يقودها ، هي ثورة الشعب ، وهي مرحلة من مراحل ثوراته وانتفاضاته السابقة ، وهي ـ الى ذلك ـ جزء من الثورة العربية بكاملها وتعبير عن الصلة الواقعية الموضوعية التي تنتظم جبهات التحرك القومي العربي كلها في معركة الحرية والوحدة والتقدم ، بقدر ما هي تعبير ـ كذلك ـ عن الارتباط العضوي التاريخي بين الحركة الثورية العربية والحركة الثورية العالمية الواسعة .

لصحيح ان انتقال القيادة الفعلية المباشرة لثورة ٢٣ يوليو ، الى جمال عبدالناصر ، قد انقذها مما اوشكت ان تقع فيه ، اوائل عهدها ، من تعثرات وترددات ومساومات كادت تحرفها عن الاتجاه التحرري الثوري الذي انبثقت منه .. فقد صحح جمال مسارها ، وعمق ارتباطها ـ كظاهرة ـ بجوهرها الذي هو انبثاق من صميم حركة التطور التاريخي لنضال الشعوب العربية . وبذلك دفعها جمال بزخم شديد الى مكانها القيادي العريض في مسيرة النضال العربي ، وحقق لها تلك المنجزات الكبيرة والقفزات التاريخية في مجالات التحدي الشجاع حيال التآمر الامبريالي والصهيوني على مطامح شعوبنا ومصائر معركتنا القومية التقدمية ـ اقول : صحيح ان تولي جمال عبدالناصر بنفسه قيادة هذه الثورة قد فعل كل ذلك ،ولكن هذا لم يغير شيئا من الحقيقة التي قلنا ، وهي ان ثورة ٢٣ يوليو انما كانت ظاهرة من ظاهرات التفجر الطبيعي لارادة الشعب في اللحظات التي تأذن بالتفجر .. بل ينبغي ان نقول ان قيادة جمال عبدالناصر للثورة زاد هذه الحقيقية وضوحا وتألقا ، اذ كانت قيادته لها نمطا جديدا من القيادات اختلف اختلافا اساسيا عما الفته الحركات التحررية العربية قبل ذلك من انماط القيادة . فهو قد ابرز العلاقة الجوهرية بين الثورة والشعب ، وهو هدم الحواجز التقليدية التي كان يقيمها القادة البرجوازيون الاقطاعيون والملوك والرؤساء بينهم وبين الشعب ، بل هو اقام اشكالا من العلاقات الحميمة بين القيادة والشعب ، كعلاقة المصارحة والمكاشفة واعلان الحقائق عارية للجماهير ببساطة وجراءة وطمأنينة ، وجعل الثقة المتبادلة بينه وبينها اساسا صلبا للاقدام على ما كان يقدم عليه من مواقف مثيرة وحاسمة ، كموقف كسر احتكار السلاح وموقف تحرير قناة السويس ، ومن اعمال بناءة ، ومن خطوات سديدة في المعارك المتواصلة مع اعداء الثورة واعداء الشعب ، الخارجيين والداخليين .

ولا شك ان هذا النمط الجديد من القيادة هو الذي

---

(١) من هذه المراجع ، مثلا ، مجموعات مجلات : «الاداب» في الخمسينات والستينات كلها ،و« الثقافة الوطنية » في الخمسينات و« الطريق » في الستينات بخاصة ، خارج مصر . عدا الكتب والروايات والمسرحيات والدواوين الشعرية .

:حاط اسم القائد باطار متوهج من الحب والاعجاب . ولكن ذلك لا يعني ان هذا الحب وهذا الاعجاب يرجعان الى اسلوب القيادة وشخصية القائد وحسب ، بل الواقع انهما يرجعان ـ بالاساس والجوهر ـ الى المحتوى الثوري الذي التزم به القائد وارتبطت به شخصيته القيادية ومنه انبثق اسلوبه .

ومن هنا ينبغي للباحثين والنقاد والكتّاب والشعراء العرب الثوريين ان لا يصرفهم هذا التوهج لاسم جمال عبد الناصر ـ وان استحقه بجدارة فائقة ـ عن ذلك المحتوى الذي اصبحت ثورة ٢٣ يوليو واصبح قائدها عبدالناصر يعبران عنه . يدلنا على ذلك ان اسم هذا القائد الثوري المناضل لم يكن معروفا قط للجماهير العربية ، وانما هو قفز فجأة من المجهول الى ذروة التألق في اذهان هذه الجماهير وفي قلوبها ، لحظة قفز بالثورة اول مرة من مناخها الذي كان ملفعا بشيء من الابهام بادىء الامر الى مناخ جديد تبدد فيه كل ابهام والتمع فيه وجهها الثوري مترعا بالعافية . منذ ذاك اخذ اسم عبد الناصر يزداد توهجا كلما ارتقى بالثورة الى موقف جديد يزيد محتواها ثورية ورسوخا في مواجهة المهمات الكبرى ،من بناءالاقتصاد الوطني المستقل وتطويره ، الى مجابهة اعداء حركة التحرر العربية بالمواقف الحاسمة الجريئة مدعومة بالتدابير والخطط الجادة المدروسة .

ان الموقف الثوري حيال « الناصرية » ،في ظروفنا الحاضرة بالاخص ، ان نردّها الى جذورها الاصيلة ، الى مصدرها الحقيقي ، الى مكانها التاريخي ، وان تتوجه رؤيتنا فيها الى المقومات الاساسية لوجود الثورة وبقائها وصيرورتها . وهذه المقومات ستبقى بنضرتها وجدتها ما بقي الشعب الذي ظهرت منه الثورة ، وما بقيت لهذه الثورة اسباب وجودها وظروف بقائها وصيرورتها . ولقد كان جمال عبدالناصر نفسه اول من التزم هذا الموقف الذي ندعو اليه . اذ كان من اصالة ثوريته وصلابة كفاحيته ان كان يأبى على اصدقائه واعدائه معا اخفاءهم وجه الثورة واهدافها ، عن اخلاص ساذج او عن سوء نية، بستار من اسمه هو وشخصه .. وهذه احدى اظهر مزايا ثوريته وكفاحيته طوال مرحلة قيادته لثورة ٢٣ يوليو .

فاذا نحن نظرنا الى « الناصرية » هذه النظرة ، اي بوصف كونها ظاهرة لجوهر ، لا بوصف كونها جوهرا بذاتها ، كان يسيرا علينا ان نتلمس اثارها في الادب العربي بمختلف قطاعاته الاقليمية، حيث لا نجد لها بعينها صورة او انعكاسا خاصا . فنحن، في هذه الحال، سنجد في نصوص هذا الادب ملامح وارتسامات قوية وعميقة وشفافة معا يتلامع فيها ذلك الجوهر نفسه الذي قلنا ان «الناصرية» لم تكن سوى احدى ظاهراته . نعني به ثورة ٢٣ يوليو بوجهيها : الخاص ، والعام . اي وجهها المصري ، ووجهها العربي بعلاقاتهما الداخلية الجدلية المتكاملة .

## ـ ٣ ـ

في ضوء هذا المنهج التكاملي ، بكل شموله ، ننتقل بالبحث الى الادب العربي ذاته ، لنرى كيف ارتسمت فيه هذه الثورة خلال مرحلتها التي امتدت من بدء عهدها بقيادة جمال عبدالناصر الى هذه الايام التي افتقدت فيها وجهه وقيادته الفعلية .

ليس بامكان هذا البحث ، في ظروفي الحاضرة ،ان يأتي بدراسة تفصيلية تشمل مختلف فنون الادب العربي ومختلف الاعمال الادبية التي صدرت في كل واحد من هذه الفنون خلال تلك المرحلة بطولها ، ليخرج من ذلك برؤية شاملة تحدد ، بدقة ، نوعية تأثر كل فن وكل عمل ادبي بثورة ٢٣ يولو ، ونوعية التفاعل معها ، ثم نوعية القيم الفنية لهذا التاثر والتفاعل . واني لارى ان دراسة من هذا النوع اصبحت ضرورة ملحة لادبنا العربي المعاصر في اخصب مرحلة من مراحل تطوره ، اعني مرحلة الخمسينات والستينات التي حفلت بتغيرات نوعية في اشكال هذا الادب ومضامينه معا ، وقد شملت هذه التغيرات كلا من الشعر والقصة والرواية والمسرحية والنقد الادبي والدراسة الادبية والمقالة الادبية . بل لقد شملت هذه التغيرات كذلك مفاهيم « النظرية الادبية » ومقولاتها الاساسية حتى لقد ماتت مذاهب فنية وولدت مذاهب .. والواقع ان دراسة جادة شاملة محددة كهذه لا بد ان تسلط اضواء جديدة على مفهوم « المعاصرة » في ادبنا العربي من حيث علاقته بـ « المعاصرة الفكرية والايديولوجية ، ومن حيث تفاعلاته الانسانية والقومية والطبقية . ولذا اصبح واجبا ان يتصدى لمثل هذه الدراسة الباحثون والنقاد المؤهلون لها في البلاد العربية ، المتمكنون من منهجية البحث الموضوعي ، بالمفهوم العلمي للموضوعية .

قلت : ليس بامكان بحثي هذا ان يأتي بدراسة تفصيلية شاملة على النحو الذي وصفت . ولكن هذا القول لا يعفيني من المحاولة مهما تكن المحاولة . فقد استطيع بها ان ارسم ـ بالاقل ـ بعض الخطوط العريضة لمثل تلك الدراسة تمهيدا للفرصة التي ارجو ان تتاح لي، في ظروف ميسرة ، كي استكمل الدراسة كما اتصور الان خطوطها التفصيلية في ضوء المنهج التكاملي الذي آخذ به :

* * *

● يبدأ الخط الاول لهذه المحاولة من النقطة التي بدأت عندها اولى ردود الفعل للنكبة العربية في فلسطين، اعني نكبة ١٩٤٨ . وليس القصد هنا بردود الفعل انعكاسات النكبة في نفوس الجماهير العربية ،وفي نتاج الادب العربي . فأن هذه الانعكاسات رافقت النكبة خطوة

خطوة ، وحركة حركة منذ الحرب ـ المؤامرة التي دبرت لجعل النكبة واقعا متجسدا بقيام « دولة » اسرائيل في فلسطين . بل القصد بردود الفعل ، هنا، تلك المتفجرات التي أخذت تهز الانظمة السياسية والاجتماعية هنا وهناك في بلاد العرب بعد سنوات قليلة من عام النكبة . وقدكانت ثورة ٢٣ يوليو عام١٩٥٢ اول رد فعل قوي من هذا النوع. اذ كانت مصر الملكية احدى الدول العربية التي شاركت في الحرب ـ المؤامرة، وكانت فضيحة **الاسلحة الفاسدة**، التي استخدمتها مصر الملكية هذه في تلك الحرب ، من ابشع وجوه المؤامرة وابرز فضيحة كشفت اولى عناصر التآمر الرجعي العربي مع الامبريالية والصهيونية على مصير فلسطين وشعبها العربي .

كانت المفاجأة ، صباح ٢٣ تموز ( يوليو ) ١٩٥٢ ، زلزالا ضخما اطاح باقوى نظام رجعي ملكي اقطاعي استبدادي في البلاد العربية حينذاك.. فقد سقط الطاغية فاروق ، وانهار نظامه الملكي .. وقد كان واضحا ، منذ ظهرت المفاجأة ، انها جاءت رد فعل انفجاري على صعيد الانظمة السياسية العربية لمؤامرة « حرب » فلسطين ، ولفضيحة الاسلحة الفاسدة وفضيحة « ماكو اوامر » خلال هذه الحرب .. لذلك استقبلت الجماهير العربية هذا الانفجار العظيم بانفجار انفعالي حماسي دافق ملء ارض العرب كلها .. وسريعا ما ارتسمت موجة الحماسة للحدث الضخم ، تلقائيا ، في اكثر انواع الادب العربي سرعة تأثر وانفعال بالموجة العارمة ، اعني الشعر والمقالة الادبية .. اما القصة وامثالها من الادب ذي البنية المركبة المعقدة ، فكانت ما تزال تختمر في داخلها «اشياء» النكبة الكبرى ، فلم تستطع الانتقال سريعا الى اختمار جديد بالحادث الجديد .

كان الادب العربي ، قبل صباح ٢٣ تموز ١٩٥٢ ، لا يزال يلعق نزف جراح النكبة الكبرى، مستظلا عتمة الكآبة بكل كثافتها ، مسورا رؤاه بجدر مقفلة من اليأس لا منفذ فيها لشعاع امل .. وعلى حين فجأة انشق السور المغلق عن امر جديد .. وكان لهذا الامر الجديد الهائل ان يكون ارهاصا اول ، بعد النكبة ، بما سيحدث في اواسط الخمسينات من بدء التحول في اتجاهات الادب العربي وفي طبيعة رؤياه الفنية بوجه عام متصلة بطبيعة رؤيته الاجتماعية الجديدة .. ولكن القيادة الاولى لثورة ٢٣ يوليو، قيادة محمد نجيب ، ابعدت عن الثورة حينذاك موجة الامل العربي ، فابعدت الثورة بذلك عن ان تقوم بدور الارهاص هذا في الادب العربي ، وكاد السور الذي انشق فيه عمود من الصبح ان يعود الى الانغلاق ، لولا انه كانت هناك مشاعل نضالية تؤج وتضيء بين الحين والحين في هذا البلد وذاك من بلادنا العربية .

* * *

وجاء عام ١٩٥٤ ، فبدا واضحا ان ادبنا لم ينقطع عن الارض العربية المتحركة لانفجارات جديدة .. وعلينا هنا ان نعترف ان ثورة ٢٣ يوليو ، بالرغم من الترددات التي اصابتها في عهد قيادتها الاولى تلك ، ستظل ـ تاريخيا ـ اول اشارة خضراء لظهور ردود فعل اخرى من نوعها ، اما على صعيد الانظمة السياسية العربية ، واما على صعيد الكفاح الجماهيري الشعبي ، واما على صعيد الفكر والادب ذاتيهما ارتباطا بما يتحرك من ذلك كله في اعماق الارض العربية .. وهذا ما حصل بالفعل. فقد رأينا منذ عام ١٩٥٤ احداثا متلاحقة على هذه الصعد كلها تحمل اشكالا من التحرك الكفاحي ، وحتى التحرك الثوري .. ففي المغرب العربي اخذت تنضج عوامل الثورة الشاملة حتى انفجرت ثورة الجزائر ، بالاضافة الى الكفاح المستعر في تونس والمغرب .. وفي المشرق العربي حدثت الوثبة الشعبية الاردنية التي قذفت «بغلوب باشا» من مركزه الاستعماري ـ العسكري الخطير كأداة فاعلة من ادوات الاستعمار في قمع الحركة الشعبية التحررية العربية ، وأقامت حكومة وطنية في الاردن فرضتها جبهة وطنية تقدمية . واذا لم تكن ظروف تلك المرحلة قد اطالت عمر هذه الحكومة وهذه الجبهة ، فان الوثبة ـ على كل حال ـ اظهرت للشعب مدى قدرته على الفعل والتحدي والتغيير متى توحدت صفوفه وتواجدت قواه الوطنية والتقدمية في صعيد كفاحي مشترك لهدف تحرري مشترك ..

وفي هذه الظروف العربية ذاتها قضت سورية على طغيان الديكتاتورية الشيشكلية ، فنهضت على انقاضها حركة وطنية ذات طابع ديموقراطي متطور .. وكانت توبات الشعب العراقي لا تزال تواصل محاولاتها الجاهدة للخلاص من كابوس النظام الملكي ـ السعيدي ومن جلاّدي هذا النظام وارتباطاتهم الاستعمارية المباشرة ..

وفي الظروف هذه ذاتها كانت ثورة ٢٣ يوليو المصرية قد اطلعت الى مركز قيادتها الاولى المناضل جمال عبد الناصر ، وأخذ يضرب ضرباته الثورية التاريخية المتلاحقة ، من صفقة الاسلحة الاشتراكية الى تحرير قناة السويس فالى اتفاقية السد العالي مع الاتحاد السوفياتي ، وأخذ يتقدم بخطى سريعة للتأثير الفعال في مجرى حركة التحرر العربية جملة .. وأخذ كذلك يقوم بدوره الكبير في وضع هذه الحركة التحررية بموضعها الطبيعي من حركة التضامن الاسيوي ـ الافريقي الناشئة يومئذ ، اي ربط حركة التحرر العربية بحركة التحرر العالمية ، ثم بالحركة الثورية العالمية ..

* * *

اما على الصعيد **الادبي** فقد كان لهذه الظروف والاحداث كلها ، جملة وتفصيلا ، فعلها الخفي والظاهر وارتساماتها المباشرة وغير المباشرة ، بحيث تمازجت في هذا الفعل وهذه الارتسامات علاقات الحركة الادبية ، من

ـ التتمة في الصفحة ـ ٨١ ـ

# تتمة «ثورة ٢٣ يوليو» والادب العربي

الداخل ، بكل حركة ايجابية مضيئة في العالم العربي . يشهد على ذلك ما ظهر من حوافز ملحة لعقد المؤتمرات الدورية للادباء العرب في فترة هذا النهوض الوطني العربي ، لمعالجة اهم القضايا الادبية والفكرية التي كانت تضعها احداث الحياة العربية ، في تلك الفترة ، امام الادباء والمفكرين في الوطن العربي عامة . وقد شهد شهر ايلول ١٩٥٤ مؤتمرين اثنين من هذا النوع ، احدهما باسم «مؤتمر الكتاب العرب» في دمشق ، والثاني باسم «مؤتمر الادباء العرب» في بيت مري بلبنان ، وكان هذا هو اول المؤتمرات الدورية للادباء العرب التي لا تزال تتوالى ، حتى كنا هذا العام بانتظار حلقتها النامية في دمشق ثم تأجلت لغير موعد معين . واذا لم يكن يتيسر لهذه المؤتمرات المتعاقبة ان تؤدي مهماتها المرجوة في دراسة القضايا التي تتصدّى لمعالجتها ، فان الذي يعنينا في هذا البحث ان نستشهد بها للدلالة على مدى عمق التفاعل الذي بدأت آثاره ، منذ اوائل الخمسينات ، بين حركة الادب العربي وحركة الحياة العربية ، بما تطرحه من قضايا ملتهبة تثيرها الاحداث والتغيرات في صعيد الكفاح الوطني التحرري بعد ثورة ٢٣ يوليو ، بوصفها ـ كما قلنا ـ اول رد فعل انفجاري للنكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ .

* * *

ولكن التفاعل الفعلي المباشر بين الادب العربي وثورة ٢٣ يوليو ، لم تبرز آثاره ، بصورة حادة وصارخة الا عند نقطة الطفح في غيظ المستعمرين من هذه الثورة بعد خطوتها التاريخية الكبرى بتحرير قناة السويس .. كانت نقطة الطفح هذه بالعدوان الثلاثي الشهير على مصر ، خريف ١٩٥٦ ، الذي انتهى بانتصار مصر على المعتدين ، بفضل بطولة شعبها ومساندة الاتحاد السوفياتي الحاسمة ، كما انتهى بتحقيق الجلاء الكامل للجيوش البريطانية المحتلة عن الارض المصرية نهائيا ، واستكمال مصر لاستقلالها الوطني الخالص من كل شائبة ، بالاضافة الى استقلالها الاقتصادي الذي حققته الثورة كذلك .

عند هذه النقطة الفاصلة ، انتفض الادب العربي بمختلف اشكاله ، كما انتفضت جماهير الشعوب العربية بأسرها ، تضامنا مع شعب مصر وثورته وقائدها جمال عبد الناصر .. ولو ان احدا تصدى اليوم لجمع الوان الشعر والمقالة والقصة وغيرها من فنون الادب العربي ، التي كتبت عن هذه المعركة ، وتغنت بها ، لاجتمع له من ذلك ما يربي على مجلدات . ففي لبنان وحده صدر من ادب هذه المعركة عددان ضخمان لمجلتي «الآداب» و«الثقافة الوطنية» ، وكتاب منفرد بعنوان «مع مصر في المعركة» لادباء لبنانيين وسوريين وعراقيين ومصريين ، نشرته «دار الفارابي» في العام نفسه .. ولكاتب هذه السطور دراسة عن «الادب الذي ولدته المعركة» (١) يومئذ وصف

١ ـ «الثقافة الوطنية» : العدد الاول ، السنة ٦ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧

---

كان يؤكد باستمرار « ان هناك مكانا لاي كان في جبهة ضد الامبريالية ، وانه لا يجب اعطاء جبهة من هذا النوع طابعا ايديولوجيا متشيعا » (١٨)

ودوبريه يؤكد من ناحيته « ان الكفاح المسلح في اميركا اللاتينية يتشكل اساسيا من الطلاب او البورجوازية الصغيرة .. ومن السخرية اعطاء هذه الاخيرة المعنى الضمني الذي تتخذه في اوروبا » (١٩) .

هذا اليسار ، الناصري سابقا ، اللاوحدوي ، اللاقومي ، الطبقوي ، « المتمركس » حاليا يقدم لنا في الواقع صورة هي من ابشع واقبح ما يمكن ان يصل اليه ما اسماه لينين باليسار الطفولي، وخصوصا في عدائه للناصرية ومخاصمته لها .

في معالجة موضوع الثورة ، او اي موضوع آجتماعي سياسي معالجة علمية يجب ان نحذر من الوقوع في اغلوطتين ، ما يمكن ان نسميه بأغلوطة المبالغة ، او تحويل حقيقة او واقعة جزئية الى حقيقة او واقعة شاملة . وثانيا ، ما يمكن تسميته بأغلوطة التبسيط او تحويل موضوع ذي ابعاد مختلفة الى صورة واحدة .

هذا اليسار اللاوحدوي ، اللاقومي ، الذي يتشكل من قسم من الناصريين السابقين يغوص حتى الاذنين في هاتين الاغلوطتين . انه لا يمارسهما فقط بل يعيش فيهما ، بهما ومنهما .

★★★

لا يكفي أن يكون الفرد ثوريا في المفاهيم او حتى الذات التي ينطلق منها ، بل يجب عليه ان اراد تحقيق مقاصده الثورية ان يتميز بوعي ثوري تاريخي عميق وخصوصا للمرحلة التي يعانيها ، فيعرف كيف يحدد موقفه من كل تحول ، وفي كل حلقة . من حركة الثورة العامة . عليه ان يضع في كل منها يده على المنطق الذي يدفعها والقوى التي تسودها . فيمسك بالمنطق والقوى كي يساند عملية التحول الثوري العام في مجراه ، وفي انتقاله من مرحلة الى اخرى.

القضية ليست ما نريد او نود بشكل مجرد ، بل ما يمكن صنعه في ظروف مرحلية معينة ، تحددها مقاصد ثورية معينة. المقصد الوحدوي الثوري يجب ان يكون المقصد الاول لانه الاداة الاساسية في تحقيق المقاصد الثورية الاخرى . كل هذه المقاصد تحتاج اليه ، ترتبط به ، ومن دونه تستحيل . الارتباط بثورة ٢٣ يوليو الناصرية هو ،في دوره ، اداة هذا المقصد الوحدوي اذ دون مصر . يستحيل هو ايضا . طالما ان ليس هناك من نواة جديدة للوحدة ، فالارتباط يجب ان يكون بثورة ٢٣ يوليو الناصرية ، ولكن عندما تتحقق هذه النواة من مصر وبعض الاقطار العربية الاخرى ، ينتقل الارتباط الى الدولة الجديدة ويتخذ اسمها رمزا له .

اننا لم نعرف كيف نفيد ، اثناء حياة عبد الناصر ، رائد ثورتنا الحديثة ، من ولاء الجماهير الغريب له فعسى ان نتدارك الامر بعد الفاجعة التي المت بنا في مماته ، فنتنبه ونحاول ان نفيد من الرصيد الثوري الفريد الذي تركه عند الجماهير العربية عبر الوطن العربي ، فنتجه الى الدولة الواحدة عبر مصر في ثورتها الناصرية ، وهي ثورة كل العرب تلك كانت امنيته الكبيرة، الامنية التي كرس لخدمتها امكانات الثورة وامكانات مصر . لقد اسانا كثيرا للفقيد الكبير اثناء حياته فعسى ان نتمكن من تصحيح ذلك في مماته ، فنستبدل الاساءة بالامانة . فقد تتوقف على ذلك قدرتنا في الوصول الى الدولة الواحدة ، اي الى البعد الثوري الذي يرتبط به جميع مقاصدنا وامالنا الثورية الاخرى .

ميشيغن ( الولايات المتحدة ) **نديم البيطار**

---

١٨ ـ Debray , R . Essais sur L'Amérique Latine , 1967 , Paris P: 102

١٩ ـ Ibid : P : 102 .

فيها هذا الادب بقوله :

« .... ولكن الامر الجديد في معركة مصر الاخيرة ، وفي هذا الادب المتفجر الان من ثناياها ، هو ان هذه المعركة جاءت والوعي القومي العربي يشتعل برغبة واحدة تنتظم اوسع الجماهير الشعبية وأوسع فئات المثقفين في مختلف بلدان العرب ، هي رغبة التحرر الحقيقي الكامل من كل علاقة قائمة بين اي بلد عربي وبين الغرب على اساس استعماري . وجاءت هذه المعركة كذلك والوعي القومي هذا يدفعه شوق متأجج الى الانصهار في جبهة نضالية واحدة ، من اقصى المغرب العربي الى اقصى المشرق العربي . ثم ان هذه المعركة جاءت في حين تهيأت لها ، في مصر ، **القيادة الواعية** التي ارتبطت بأعظم الاحداث التحررية اثارة لتلك الرغبة، والهابا لهذا الشوق ، بحيث **تحولت هذه القيادة الى رمز متألق متوهج في خواطر الجماهير العربية من اوساط الشعب والمثقفين ، وفي طليعتهم الكتاب والشعراء والفنانون** » .

* * *

.. وبفضل هذا التألق والتوهج للقيادة ـ الرمز ، قيادة جمال عبد الناصر لثورة ٢٣ يوليو ومعاركها المتلاحقة في مناهضة الامبريالية والصهيونية ، وفي استكمال السيادة الوطنية لمصر وبناء اقتصادها الوطني المستقل المتطور واتجاهها العملي نحو التحولات الاجتماعية في الطريق الى الاشتراكية ـ اقول : بفضل ذلك كله اتجهت الانظار الى مصر الثورة بقيادة عبد الناصر لتحقيق نواة **للوحدة العربية** السياسية تجسيدا للمطمح العربي التقدمي وتعبيرا حقوقيا عن الوحدة القومية النضالية والتاريخية والثقافية واللغوية والجغرافية القائمة موضوعيا بين شعوب الارض العربية من مشرقها الاسيوي الى مغربها الافريقي .

كانت سورية المتحررة ذات الوضع الدمقراطي هي المؤهلة عام ١٩٥٨ لتؤلف مع مصر الثورة هذه النواة .. وهنا كان الحدث التاريخي الاول من نوعه في تاريخ العرب الحديث . ولكن دور العمل الادبي بأشكاله الفنية، لم يتعادل مع دور العمل الفكري في استقبال هذا الحدث العظيم وفي التأثر به .. فقد نشط الكتّاب والمفكرون، اكثر من الكتّاب الادباء والشعراء في هذا المجال . غير ان هذه الظاهرة كانت ظاهرة صحية ، لان قيام الوحدة ـ النواة كان يستدعي تقديما علميا ودراسات فكرية جادّة، لكشف الاسس الموضوعية والذاتية في واقعنا القومي الحاضر لفكرة الوحدة ، ولتحويل هذه الوحدة الى حقيقة مادية . بل لقد طمح بعض المفكرين العرب ، عند ظهور هذا البناء الجديد للوحدة ، الى اكثر من دراسة الحدث الكبير على هذا النحو من الكشف والتحليل التاريخي ، فجعل يدرسه على اساس فكري وأيديولوجي ، كما فعل الدكتور حسن صعب في بحث كتبه بعنوان : «المعنى العقائدي لقيام الجمهورية العربية المتحدة» (١) . وقد ظهرت ، في عام الوحدة ، دراسات غنية في تقويم الحدث نفسه ، وفي الدعوة الى تطويره وتوسيعه على اسس تخطيطية عقلانية ووفق الاتجاه الكفاحي التحرري الذي اتجه اليه الحدث ، وطنيا واجتماعيا . وبهذا الصدد كتب مثلا احد الباحثين التقدميين باسم «ابن خلدون» دراسة بعنوان «الجمهورية العربية المتحدة خطوة كبرى نحو وحدة عربية شاملة» (٢) قال فيها : « ... واذا كان هناك من فوجيء بولادة الجمهورية العربية المتحدة ، وأصابته الدهشة ، فاننا نطلب اليه ان يفتح عينيه فقط ليرى الاستقبال العظيم الذي استقبلت به الشعوب العربية جمهوريتها الجديدة . لقد اثبت ذلك ، مرة اخرى ، ان الوحدة العربية المتحررة ليست سوى تعبير عن ارادة الشعب العربي بأسره » .

يضاف الى نشاط هذه الدراسات عن الوحدة ، نشاط اخر في اوساط الادباء والمثقفين في كل من مصر الثورة وسورية اثناء وحدتهما ، لمعالجة اوضاع الادب والادباء ، ومعالجة شؤون الفكر والثقافة بوجه عام على اسس جديدة تتفق مع اهداف الثورة ومع المضمون الثوري للوحدة .

ـ ٤ ـ

.. واذا مضينا مع ثورة ٢٣ يوليو في مسيرتها بقيادة جمال عبد الناصر ، وفي تطور منجزاتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية ، فلا بد ان نرى حقيقة هامة واضحة ، هي ان دولة الثورة قد عنيت عناية جدية بتطوير مكانة الادباء في المجتمع وتطوير وسائل الازدهار الادبي والفكري ، الى جانب عنايتها الكبرى بتكوين الملاكات العلمية والفنية لرفع مستوى الاجهزة البشرية التي تتولى بناء دولة ذات اعباء ومهمات بحجم التأثير الفعّال الذي تمارسه ثورة ٢٣ يوليو في حركة التحرر العربية والعالمية .

ولكن ، يلاحظ ان المؤسسات التي عهد اليها ، في دولة الثورة ، امر هذا التطوير لوسائل الازدهار الادبي والفكري ، لم يقم على ادارتها وتوجيه نشاطها ومهماتها ناس بوزن الاهداف والمهمات المطلوب منها تحقيقها . ولعل مرجع ذلك انهم غير مستوعبين روح **المعاصرة** ، وغير مستوعبين كذلك **ثورية** الثورة .. ومن هنا كان هذا الانفصال بين الطابع **المحافظ** الذي يسيطر على تلك المؤسسات وبين الطابع الديناميكي الثوري الذي يسود المنجزات الانمائية الكبرى التي حققتها الثورة ..

غير ان هذا النقص في فعّالية تلك المؤسسات ، لا يعني ان النقص نفسه قائم في الحركة الادبية ذاتها ، في ال «ج.ع.م» خارج تلك المؤسسات ، بل الامر على العكس . فانه لمن الظاهرات البارزة لهذه الحركة كونها تتطور خارج المؤسسات الادبية الرسمية في مستوى رفيع يوازي مستوى التطور النوعي العام لمنشآت الثورة

١ ـ «الآداب ـ العدد ٤ ، السنة ٧ ـ آذار (مارس) ١٩٥٩ .

٢ ـ «الثقافة الوطنية» ـ العدد ٣ ، السنة ٧ ـ آذار ١٩٥٨ .

في المجالات الانمائية الاساسية ، دون ان نقصد بذلك اي ارتباط بين الامرين .. وحركة الابداع الادبي هناك تتسم بظاهرة التنوع الخصب وولادات المواهب الشابة الاصيلة والتماعها بسرعة وتجاوبها القوي مع روح المعاصرة في اصالة وتماسك يحفظان عليها شخصيتها المستقلة . وان النظرة الموضوعية لهذه الحركة في مصر الثورة ولنتاجها الشعري والقصصي والمسرحي والروائي والنقدي ، تدعو للاعتراف بأنها تتميز باندفاعة زاخمة نحو آفاق مترعة بالاشراق والتألق .. وهناك **ظاهرة اخرى ذات شأن كبير في نظرنا نحن الكتّاب العرب خارج مصر، وهي ظاهرة جديدة لم يسبق حدوثها في تاريخ الادب العربي بمصر ما قبل الثورة . اعني بها ظاهرة التلاحم والتكامل مع الحركة الادبية في سائر البلدان العربية . فقد كانت دائما حركة الادب المصري تتجه الى التعامل مع ادب العرب خارج مصر تعامل الفاعل غير المنفعل ، الذي يريد ان يعطي ولا يأخذ ، ان يؤثر ولا يتأثر ، ان يضيء ولا يستضيء .. فكان من فعل ثورة ٢٣ يوليو انها انمت الحس القومي العربي في الاشقاء المصريين ، وأنمت بذلك عملية التفاعل المشترك بين ادبنا العربي هنا وهناك ، ولقد كان للوحدة بين مصر وسورية ، رغم قصر عمرها الزمني ـ مع الاسف العميق ـ ، الفضل الاول في وضع عملية التفاعل هذه على خطها الحركي المتنامي صعدا حتى الان .. وان هذه الظاهرة لفضل كبير لثورة ٢٣ يوليو على حركة تطور الادب العربي ينبغي ان يذكر ولا يجمد..**

**ـ ٥ ـ**

.. وفي اخر المطاف مع مرحلة الخمسينات والستينات لثورة ٢٣ يوليو ، تبرز أمامنا حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ .. هذه الحرب الخاسرة التي كان عبء عملياتها العسكرية وعبء آثارها المادية والنفسية والقومية على اكتاف الجمهورية العربية المتحدة .. ومن هذه الاعباء ما حملته واقعا وحقا ، ومنها ما حمّلها اياه المتخاذلون والانهزاميون والرجعيون باطلا وزيفا ووهما.. والمسألة التي تعنينا من ذلك هنا ان الادب العربي نفسه قام بدور بارز في حمل هموم الحرب هذه ونفذ لهبها المأسوي الى دمه وعروقه .. ولكن بعضه انغمر في لهب المأساة حتى عميت عنده الرؤية عمى مطبقا فاصبح لا يرى غير جدار اليأس والفجيعة «يتلذذ» بمعاناة الارتطام به وبصدى صمته الاعمى .. وبعضه الاخر حمل اللهب خارج ذاته ليرفعه شعارا للشماتة ، مثيرا به حملة «ديماغوجية» يقصد بها حربا على الثورة وقيادتها وحربا على الحركة التحررية العربية بجملتها وعلى اتجاهاتها ومنجزاتها التقدمية ، جاعلا من المأساة ذريعة للطعن حتى بقابلية الشعب العربي ان يدخل حركة التاريخ في مسيرة التطور الحضاري .. غير ان الادب العربي لم يفتقد فريقا ثالثا بين الفريقين ، هو ذلك الذي احترق بالمأساة حقا ، دون ان يحترق عنده جوهر القضية ، بل لقد انصهر جوهرها في اللهب وتبلور وتألق ، فمنحه الرؤية البصيرة الواعية، ومنحته الرؤية هذه اشعاع الأمل والثقة بأن الشعوب لا تقتل الهزيمة ، بل الهزائم ، بذور الحرية النامية في كيانها ، وان الشعب العربي الذي سقى هذه البذور تاريخا من الدم والكفاح طويلا لن ينضب معين تاريخه الدموي الكفاحي هذا ابدا ، وان **الثورة** التي انبثقت من هذا الشعب ستبقى هي الثورة ما دام هذا الشعب نفسه حيا لا يموت .. ولقد اثبت الشعب العربي هذه الحقيقة مرتين : مرة يومي ٩ و١٠ حزيران ١٩٦٧ حين ابى على جمال عبد الناصر قائد ثورة ٢٣ يوليو ان يتخلى عن مكان قيادته الثورية ، ومرة اخرى قريبة العهد منا حين غاب وجه عبد الناصر ، فجأة ، عن مكان قيادته دون ارادته ، فاذا بالشعب العربي ، شعب الثورة ، شعب الحركة التحررية العربية الدائبة المسير ، يخرج من قلب الفجيعة ليعلن ان «المشوار» لم يكتمل بعد ، وأنه ، لا بد من ان **«يكمل المشوار»** .. وينبغي ان نسجل هنا ، امانة للحقيقة ، ان **ادب المقاومة** الذي يصدر عن ارض فلسطين المغتصبة ذاتها ، كان في طليعة الفريق الثالث من الادب العربي ، فريق الادب المندمج بالمأساة والملتحم بنارها دون ان يفقد رؤيته الصافية الواعية المخضوضرة بالحياة والأمل والثقة ، ثقته بالشعب ، لانه من الشعب يتفجر ، وبروح الشعب يزهر ويورق ، ثم لانه يرى الى المعركة والى الثورة في ضوء العلم الثوري ، في ضوء الفهم العلمي الصحيح لحركة التاريخ .. ثم لانه كذلك ادب يستمد رؤياه الفنية ذاتها من المعاناة الحقيقية المترعة بالعذاب حتى الطفح ، بمختلف الوان العذاب المادي والنفسي معا ..

**ـ ٦ ـ**

تبقى مسألة ..

حاول هذا البحث ان يرى ظاهرات عدة من العلاقة بين حركة ثورة ٢٣ يوليو وحركة الادب العربي في المرحلة التي انتهت من عهد هذه الثورة بغياب وجه القائد الثوري المناضل جمال عبد الناصر .. ولكن ، ما مدى عمق هذه العلاقة ، وما مدى اثرها في التحولات النوعية التي اكتسبتها حركة الادب العربي خلال تلك المرحلة .. ثم ما هي هذه التحولات بالتعيين ، وما الآفاق التي ستمضي اليها في المرحلة القابلة ؟.

هذه المسألة تتجاوز مهمة بحثنا الان الى محاولة جديدة يحتاج الادب العربي اليها اشد حاجة ..

**حسين مروه**